اللغة وأبناء الجاليات العربية في المهجر

أ.د. ثروت إسحق(*)

تمهيد:

إن موضوع الوظائف اللغوية في عصرنا الحديث لا يمكن فهمه بمعزل عن الهوية، واللغة ظاهرة اجتماعية بل إنها جوهر الثقافة، وهكذا نستطيع الحديث عن اللغة العربية باعتبارها لب الثقافة العربية.

وإذا أردنا أن نتعرف على حقيقة شعورنا الديني أو توجهنا القومي أو الوطني، فليس هناك سوى اللغة. فهي الوسيلة الفريدة للتعبير وعربون التواصل والوجود الاجتماعي؛ إذ تعبر اللغة عن التواصل بين الناس حيث يتبدى فيها الإعجاب والسخط، الحب والكراهية، الضعف والقوة، الخوف والشجاعة، وتصل إلى أعلى مستوياتها في الآداب، والفنون، والقصص، والعلوم المختلفة.

1] طبيعة المشكلة:

ازداد عدد المهاجرين العرب في أوروبا خلال النصف الثاني من القرن العشرين وشهدت موجات العمال المهاجرين من المغرب العربي إلى فرنسا وسكان الشام إلى أمريكا الجنوبية، والمصريين وغيرهم إلى كندا والولايات المتحدة ازدياداً ملحوظًا في حقب زمنية بعينها كحقبة التسعينيات، واستمر هذا التدفق بصور مختلفة للمهاجرين حتى الآن.

وقد حاولت الأجيال الأولى من المهاجرين العرب لأوروبا والأمريكيين أن يحافظوا على التراث الثقافي الذي حملوه معهم، ومن هؤلاء المهاجرون المغاربة لفرنسا (الذين نزحوا في أعقاب الحرب العالمية الثانية إلى فرنسا بمفردهم لإصلاح ما خلفته الحرب). ثم وافقت فرنسا بعد ذلك على استقدام أسرهم للمعيشة معهم، وكان الجيل الأول من المهاجرين يحافظ على روابطه مع الوطن الأم ويحرص على التمسك بالعادات والتقاليد والقيم العربية، ويساعدهم على ذلك أنهم يشكلون عادة جماعات متماسكة في المجتمعات التي يتجهون إليها؛ الأمر الذي يدعم هويتهم الثقافية. ويذكر توفيق[1] أن هجرة المغاربة إلى فرنسا منذ منتصف السبعينيات اتسمت بلحاق

(*) أستاذ علم الاجتماع ـ كلية الآداب ـ جامعة عين شمس.

الأسرة المغربية بعائلها المهاجر لفرنسا والاستقرار النسبي للمهاجر في العمل، مع تمكنهم من الحصول على مسكن، وتعليم الأبناء تعليمًا فرنسيًا، حيث أدرك الآباء أن مصيرهم أصبح مرتبطًا بالمجتمع الذي نزحوا إليه، فحرصوا على أن يتعلم الأبناء الفرنسية. غير أن جيل الأبناء عانى من الازدواجية الثقافية، فهم في المدارس يندمجون مع أقرانهم في المدارس كما يتعرضون لوسائل الإعلام التي تبث باللغة الفرنسية، بينما كان التعامل داخل المنزل يتم في إطار الأسرة العربية التي تحرص على الإبقاء على اللغة والدين والعادات والتقاليد السائدة في المغرب.

ويذكر عوض أن بداية اعتراف البلد المضيف بمعلم اللغة العربية يرجع لنهاية الثلاثينيات حيث سُمح للجاليات العربية بتدريس اللغة العربية في المدارس في غير مواعيد الدراسة، ثم سُمح لهم بفتح أقسام لتعليم اللغة العربية من خلال نظام التعليم الموازى، مع إتاحة الفرصة من خلال البروتوكول الذي تم توقيعه بين وزارتَي التعليم المغربية والفرنسية لإنشاء أقسام التعليم المدمج عام ١٩٧٤، وتم تأكيده سنة ١٩٧٥ باتفاقية ثنائية بين المغرب وفرنسا، حيث يسمح بتدريس اللغة العربية للطلاب العرب.

ومن أبرز المشكلات التي تعوق تعليم اللغة العربية لأبناء المهاجرين من دول المغرب العربي إلى فرنسا ما يلي:

١) المشكلات المتصلة بالدولة المضيفة المهاجرين، فهي في الحقيقة تضع العراقيل أمام تعليم الأبناء اللغة العربية لتأمين اندماجهم في المجتمع الفرنسي.

٢) إن الطلاب لا يهتمون بتعلم اللغة العربية لأنها لن تُستخدم في الشارع أو مجال العمل في المجتمع.

٣) إن الكثير من المعلمي اللغة العربية يتبعون أساليب عقيمة لتعليم اللغة العربية؛ مما يحد من الدور الذي يقومون به نتيجة لعدم تمكُّنهم من استخدام تكنولوجيا التعليم.

٤) إن مناهج اللغة العربية هي المناهج والمقررات نفسها في الدول الأم ولا تنسجم محتوياتها مع متطلبات الأطفال المغتربين وأوضاعهم.

والواقع أن حقبة السبعينيات قد شهدت بالمثل تيارًا متناميًا للهجرة الخارجية الدائمة اتجه من البلدان غير النفطية المزدحمة بالسكان (كمصر والسودان والأردن) إلى الولايات المتحدة وكندا وأستراليا في مقابل التيار المؤقت المتجه للعمل بالدول النفطية الغنية، وتتمثل المشكلة الرئيسة في أن تيار الهجرة الخارجية للدول الأجنبية ظل يعانى في الوقت نفسه من اختلاف اللغة والثقافة والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية بين أماكن النزوح ومناطق الجذب ويخشى من تفعيل الثقافة الفرعية للمهاجرين؛ مما يعطل اندماجهم في المجتمعات التي نزحوا لها.

وإذا كانت الهجرة من دول المغرب العربي الثلاث (تونس ـ المغرب ـ الجزائر) قد أفرزت ٣ موجات، أولاها الفترة الفاصلة بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، والثانية في الخمسينيات، والثالثة في سبعينيات القرن العشرين، فإن الهجرة ـ من مصر والأردن وفلسطين والسودان وغيرها ـ إلى الولايات المتحدة وكندا وأستراليا وأمريكا الجنوبية قد بدأت في حقبة السبعينيات واستمرت حتى الآن، وأصبح المهاجرون فيها مشتتين ما بين التمسك بثقافاتهم الفرعية والتمسك بثقافة المجتمعات التي نزحوا لها.

وقد أفرزت هذه الهجرات جيلاً من الفتيان الذين ولدوا ببلاد المهجر وانقطعت صلاتهم نسبيًّا بالبلدان العربية (التي شهدت مولد الآباء والأمهات والأجداد)، وأصبحوا يعانون من أزمة الانتماء والولاء بصورة محددة، وازدادت حدة الصراع الثقافي في حياتهم في أعقاب اتهام العرب عمومًا بمناصرة الإرهاب بعد تورط مجموعة من الإرهابيين في حادث سبتمبر ٢٠٠١.

ومن الواضح أن جيل الشباب والصغار أصبح يعانى من عوامل التهميش الاجتماعي والثقافي في بلدان المهجر في المجتمع الغربي، فهم يشعرون بأن ثقافتهم الفرعية **Sub Culture** لا أهمية لها في تشكيل الثقافة العامة للمجتمع الغربي أو إدارة مؤسساته؛ إذ لا وجود لما يُطلق عليه اللوبي العربي كنظيره الإسرائيلي، وتعانى الشرائح الشابة من الصراع الثقافي **Cultural Conflict** بينهم وبين جيل الآباء؛ إذ إن جيل الآباء هو الحامل لبذار الثقافة التقليدية فيما يتذبذب جيل الصغار بين ثقافة البلد الذي نزحوا إليه وثقافة أسرهم؛ خاصة وأن غالبية الأسر العربية قد اتجهت لمناطق حضرية تختلف تمامًا عن المناطق التقليدية العربية المحافظة التي كانت تعيش فيها هذه الأسر قبل نزوحها للخارج.

٢] غياب اللغة وأزمة الهوية:

ومن الواضح أن الهوية والانتماء تختلف لدى جيل الآباء عنها بالنسبة لجيل الأبناء، فالجيل الأكبر سنًّا يحاول المحافظة على ثقافته العربية متمثلة في الهوية والانتماء مع الأقطار العربية والإسلامية التي هاجروا منها، بينما يقع جيل الصغار في حيرة بالغة في مضمار بناء جسور التفاهم بين ثقافتهم الفرعية والثقافة السائدة في البلدان الغربية. ويخشى البعض من ذوبان هذه الأجيال الصغيرة في مناطق النزوح ويحرضها على تبنِّى القيم والمعايير السائدة في الغرب والتي تختلف بصورة بينة عن القيم العربية بصفة عامة، وقيم القطر الذي ينتمون له بصفة خاصة؛ مما يشكل خسارة فعلية. ومن المحتمل أن تظهر في حياتهم ثقافات فرعية لا هي صورة مطابقة للثقافة العربية التي ينتمون أساسًا لها، ولا من الثقافات السائدة في بلدان المهجر التي أصبحوا يعيشون في ظلها.

إن فقدان الهوية والانتماء هو مشكله اجتماعية وثقافية خطيرة يمكن إذًا أن تهدد جيل

المغتربين؛ إذ إن شيوع استخدام اللغة بين العرب المهاجرين للخارج وأولادهم يدعم الهوية والانتماء، أو على حد تعبير رونيه أوبير "إن اللغة ليست مجموعة من الأصوات بقدر ما هي جهاز من المعاني والتكنيكيات، كما إنها تجربه مكثفة تؤرخ من خلالها جميع العلاقات الفوقية وما تتضمنه من معاني"[١] ونحن لا نقصد بهذا أن انتشار اللغة يُعد بيت القصيد في حد ذاته، بل إن الثقافة العربية والدِّين يمكن أن ينتقلا بسهولة من خلال اللغة المنطوقة والمكتوبة.

وهكذا تكون اللغة صدًى للحضارة العربية، وتعبر عن الانتماء له وكلما كان الرافد المعرفي لتلك الحضارة كبيراً ومتواصلاً دل ذلك على الحضور العالمي للغة العربية[٢]. بل إن الدراسات الحديثة قد أكدت دور اللغة في تكوين الفكر عند الطفل؛ ولذا يمكننا التأكيد على دور اللغة العربية في تكون الفكر عند الطفل العربي في بلدان المهجر، فاللغة هنا هي المسرح الذي يساعد الطفل على الوعي بالثقافة الفرعية وتفهُّمها. ويقف البعض عند آراء محمد الجابري التي رأى فيها[٣] أن اللغة العربية لغة أعراب حسية "تاريخية"، ولا يمكن أن تحدث سوى خطاب ذي طبيعة لغوية بيانية وليس ذي طبيعة فكرية ومنطقية. غير أن هذا لم يمنع الجابري من التعبير عن أفكاره بواسطتها، فهو لا يفوته أن يتراجع ليعتبر أن حضارتنا قادرة على استيعاب أفكار الحضارات الأخرى، فاللغة بصفتها نسقًا System لا يمكن اختزالها في دلالات جامدة، بل إنها لا توجد إلا بصفتها مؤسسة اجتماعية متكاملة، ولقد شهدت بدورها نمواً في أساليب التعبير. بل إن على حرب يعتبر أن اللغة معجزة العرب، فهي من ظواهر الابتكار الإبداع. وتبدو هذه التوجهات من اللغة قريبة من مواقف أرنست رينان Ernest Renan، ورولاند بارزس Roland Barthes من اللغة الفرنسية، فقد اعتبر رينان أن اللغة الفرنسية لا يمكن أن تكون لغة المبهم واللامعقول بل إنها العقل الحسي المستقبل، وبينما يتهم رواد الوضعية الجديدة اللغة بأنها لا تهتم بالوقائع، فإن اللغة هي تعبير مشحون بمعان وخيارات ورؤى ودلالات فهي انفتاح على المكان والزمان، ولا وجود للغة خارجة عن الفعل الإنساني الاجتماعي ـ التاريخي، كما أن اللغة لا تنحصر وتتحدد في معجمها ومفرداتها بحدود القواميس[٤].

وبصرف النظر عن هذا الحوار الفكري تبقى اللغة العربية غير معبرة فقط عن الثقافة العربية، بل إنها التعبير الفعلي عن الزمان والمكان والإنسان، فضلاً عن كونها أداة التواصل الفعال في المجتمع.

---

(١) نقلاً عن صاحب الربيعي ـ الحوار المتمدين، العدد ١٥٠١ في ٢٦/ ٣/ ٢٠٠٦ .

(٢) المصدر نفسه – المكان نفسه .

(٣) Httn/www-an-nour com/204, Science/ Science – 61 htm.

(٤) سمير أبو زينب . http/www. Arabrenewal. Com/ Index – php md= Al & A10 = g300

ونحن نتفق مع ساطع الحصري ونديم البيطار في أهمية اللغة العربية ودورها في صياغة الهوية؛ بل إنها الضمان الحقيقي لسيادة القيم العربية التي يمكن أن نقف من خلالها لمواجهة تأثير العولمة؛ وبخاصة بالنسبة لأعراب المهجر حيث تصبح العولمة قاب قوسين أو أدنى من التحقق والتغلغل الفعال في حياة الناس بينما تهتز أوتار الهوية. وقد انتهى مؤتمر "اللغة العربية أمام تحديات العولمة" في دوراته الثلاثة على مدار سنوات ثلاث (٢٠٠٤ : ٢٠٠٦)، والذي عُقد في بيروت بدعوة من معهد الدعوة للدراسات الإسلامية ـ إلى أهمية اللغة العربية في مواجهة الهجمة الشرسة التي تتعرض لها من داخل المجتمعات العربية نفسها ومن خارجها؛ إلى جانب تأصيل قدرة اللغة العربية في سياق الحياة المعاصرة، ودعم مشروع الأمة الحضاري من خلال جهود المنظمات العربية والإسلامية في نشر الثقافة العربية. وانتهى المؤتمر كذلك إلى أن تحديات العولمة تفرض علينا مواجهتها بعقلانية وموضوعية وقدرة على حوار الآخر؛ لمعرفة قدراته وتفعيل التفاعل الاجتماعي معه.

٣] دور اللغة في دعم الهوية:

وإذا كانت اللغة العربية هي التجسيد الحقيقي للزمان والمكان والإنسان وأنها لغة القرآن الكريم، فإننا لا يمكن أن نحدد مفردات اللغة ودلالتها إلا في ضوء البيئة الثقافية للناطقين بها.

وقد صدر حديثًا عن مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت كتاب اللغة العربية أسئلة التطور الذاتي والمستقبل، وشكلت مادته دراسات ومقالات ثمانية باحثين وخبراء[٥]، وانطلقت فلسفة الكتاب المشار إليه من أن تحديات الهوية والتنمية والعولمة وضعت العرب أمام التساؤل عن دور اللغة العربية الآن، حيث أبرز المؤلف أن اللغة العربية تُعد قوام الأمة وكيانها التاريخي والحضارة، كما إنها مستودع الأفكار والرموز والقيم، حيث يمتد التأثير في محيطها ويتصل بالحاضر والمستقبل ويتصل كذلك بالجوانب السياسية والثقافية والاجتماعية التي نحياها[٦].

إن اهتمامنا بتفعيل تعليم اللغة العربية لأبناء المهجر ينبع من حقيقة لا خلاف عليها، وهي أن اللغة العربية والدين يتعاونان في الحفاظ على كياننا العربي وهويته الثقافية ويشكلان التراث الثقافي الذي يعبر عنه من خلال الأفكار والممارسات[٧]، سواء كنا نفتش داخل أقطارنا أو في بلدان المهجر. ولا يعنى ذلك بحال من الأحوال انغلاق العرب في الداخل أو انغلاق المهاجر العربي في الخارج على لغته العربية حيث يتعلمها ويتحيز لها دونما عداها، بل إننا نطالبه بإتقان اللغة العربية وليتعلم ما يشاء من اللغات الأخرى، فمن غير المقبول أن نناصر مقولة لودفيج فتجنشتاين ـ وهو

(٥) هم: أحمد بن نعمان، احمد الحمو، رياض قاسم، زكريا أبو حمدية، سامي سويدان، عبد الله النفسي، عماد بوحوس، ياسين خليل.

(٦) تقرير عن مؤتمر اللغة العربية أمام تحديات العولمة File/F: New page / htm.

(٧) السيد نجم: ملامح الهوية الثقافية العربية – File // F / htm.

أحد الباحثين في فلسفة اللغة ـ والتي يؤكد فيها أن حدود لغتي هي حدود عالمي، ولا أن نسقط في براثن فكرة الصراع الاجتماعي باعتباره يؤثر في اللغة وفي الخطاب اللغوي الوثيق الصلة بالإيديولوجيا، بل إننا نؤكد على أن تفعيل الوعي باللغة ودورها الخطير، وتطوير أساليب الحوار الفكري بيننا وبين من يهاجرون ويتواصلون معنا بالفكر واللغة المنطوقة والمسموعة ـ يؤكد جوهر الثقافة التي ينبغي أن نبقى عليها بين من يعيشون في أوطانهم ومن ينزحون خارجها[٨]. إن هذه العملية ـ بحسب تعبير عباس عمارة تؤكد على أن وظيفة اللغة مد جسور التواصل وقنوات التخاطب بين الناس[٩]، فالجيل المستقر يتحصن بالثقافة ويحرص على أن ينهض الجيل الذي يعيش في بلدان المهجر برسالته في الحفاظ على الثقافة العربية دون أن يتقوقع، إذ إن عليه رسالة مماثلة في قبول ما يتمشى مع ثقافته الأصيلة كما يتكيف مع ثقافة المجتمع الذي هاجر إليه طالما أن ما يقبله لا يتعارض مع ثقافته العربية ودينه وأخلاقه، وحتى لا تصبح شخصيته محلاً للصراع بين ثقافته العربية وثقافة أسرته وبين ثقافة المجتمع الذي هاجر إليه. فضلاً عن أن انغلاقه على ثقافته المحلية ورفض الآخر يؤكد مزاعم التيار السائد في المجتمعات الغربية الذي يزعم أن ولاء المهاجر العربي في بلدان المهجر للوطن الأم وحسب، وأن الشرائح المهاجرة تحتفظ بثقافاتها التقليدية التي تتعارض مع الانتماء للبلدان التي هاجرت إليها. حيث تنظر هذه البلدان للمهاجر العربي باعتباره لا يقبل بحال من الأحوال الثقافة الغربية (التي تتبنى العولمة والتحديث والديموقراطية)، وأن الشرائح العربية المهاجرة لا تفكر مطلقًا في التكيف الاجتماعي والثقافي في بلدان المهجر مع سكان هذه المجتمعات نتيجة لانغلاقها الشديد.

٤] اللغة العربية والتراث:

إن الحديث عن أهمية اللغة العربية لأبناء الجاليات العربية في الخارج يوجهنا أن نلتفت لما ذكره حليم بركات[١٠] عن ضرورة الاهتمام بفلسفتنا في تعليم اللغة العربية التي نعلمها لأولادنا، ففي بعض الأحيان تغلب علينا النزعة التعبيرية فيقول العربي: "حلاوة الإنسان في حلاوة اللسان"، وفي بعض الأحيان تغلب النزعة الذرائعية فيقول العربي نفسه: "إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب" و"من كثر كلامه قل احترامه"، وكما يكون الكلام غامضًا أو تزيينًا في بعض المواقف يكون مقتضبًا في أوقات أخرى. وكما يؤخذ العرب بالكلمات ـ شأنهم في ذلك شأن سائر الشعوب ـ يؤخذون عادة بالأعمال، وإذا ما تغلبت ناحية على أخرى فإن هذا يتم عادة نتيجة لسيادة تيارات اجتماعية وثقافية وسياسية تصدق على الجميع، ولا تكون الثقافة العربية استثناء. وكما يسحر العرب بلغتهم وفنونها كذلك تسحر سائر المجتمعات؛ إذ إن اللغة ليست

(٨) انظر مقال جاسم محمد – حول اللغة وسوء التفاهم .File/F/hrm

(٩) الزين عباس عمارة، اللغة جسر التواصل النفسي .http //www. Elazayem.com/new page 28

(١٠) المجتمع العربي المعاصر ـ مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت ـ ١٩٩٨ ـ ص ٣٤٥ : ص ٣٤٨.

مجرد وسيلة أو وعاء بل هي تجسيد للثقافة ذاتها، من خلال الحكم والأمثال الشعبية والقصص والأساطير والأقوال المختلفة السائدة.

ويورد بركات دلالة على ما يقول ما ذكره إلبرت حورانى من أن "العرب أشد شعوب الأرض إحساسًا بلغتهم". واللغة في نظر مالك بن نبي "أساس كل ظاهرة اجتماعية".

إن من يتأمل تطور اللغة العربية خلال القرن الأخير يجد تنوعًا هائلاً في الأساليب والمفاهيم والرموز؛ إذ إن لغة جيل النهضة الأول من اليازجي، والبستاني، والطهطاوي تختلف عن جيل مطلع القرن الماضي من أمثال جبران، وكلتاهما تختلف اختلافًا شاسعًا عن لغة الجيل الحاضر من أمثال أدونيس والطيب صالح. وكلما تغيرت اللغة تغيرت علاقة الإنسان باللغة؛ حيث نشأ ميل واضح للابتعاد عن التعبيرية التزينية والاقتراب من الذرائعية القائمة على المنهجية الفكرية والاقتضاب، والدقة في أداء المعاني والتنوع بتنوع الاختصاصات، لاسيما في مجال العلوم الإنسانية بصفة خاصة، وهو ما يملى علينا حين نريد أن ننقل اللغة لجيل الأبناء ونعلمهم إيَّاهم أن نحرص على نقل اللغة بمنهجيتها الثرية التي تتواكب مع روح العصر ولا تشكل عقبة في سبيل فهم الإنسان للعالم الذي يحيط به ويعيش فيه، لاسيما أن العولمة أو الكوكبية حريصة على أن تجعل العالم قرية كونية واحدة؛ حيث تعمل دون شك على إلغاء الخصوصية والثقافات الفرعية لتعظيم التوحد والتماسك بين الناس جميعًا في عالم اليوم.

إن دور اللغة العربية يتمثل في صياغة تراثنا العربي المرن والمنفتح على الثقافات الأخرى الذي شهد في بداية انتشار الإسلام ترجمة للفلسفة اليونانية إلى العربية، كما شهد انتقال فكر الفلاسفة العرب لأوروبا. كما يمكن أن نستعيد هنا الدور المحوري لكي نساعد الأجيال الشابة المهاجرة على أن تفهم رسالتها الحقيقية في بلدان المهجر، فما من شك أنه من الضروري أن ننقل الثقافة العربية لجيل الأبناء وأن نساعده في الوقت نفسه على التكيف الاجتماعي والثقافي مع الثقافة الغربية، وأن نقبل الجوانب الإيجابية لهذه الثقافة والتي تتمشى بدورها مع ديننا وأخلاقنا، حتى لا يُتهم جيل المهاجرين برفض المجتمع الذي يعيشون فيه ويستظلون بتنظيمه الاجتماعي.

وتكمن أزمة جيل الصغار والشباب في بلدان المهجر في أن فقدان التواصل اللغوي يؤدى إلى تعذُّر تعرف جيل الصغار والشباب على تراثهم الثقافي، فيدخلون في العملية التي يطلق عليها علماء الاجتماع الإحساس بالهامشية الاجتماعية والثقافية **Socio- cultural marginality**؛ حيث تزداد خطورتها بمرور الوقت. وهذه العملية الخطيرة تعنى أنهم يعيشون على هامش كُلٍّ من الثقافتين: الثقافة العربية التي يدركون أنهم ينتمون لها، والثقافة الغربية التي يعيشون بين ظهرانيها (في مجال الدراسة والعمل والسكن والمعيشة)، ومن المؤسف أن يضيع هذا الجيل نتيجة لهذه الظروف القاسية!

أما حماس هذا الجيل وميله لمناصرة العالم العربي والإسلامي في صراعه ضد الإمبريالية، كما حدث حين سارعت بعض شرائح الشباب لمواجهة المد الأنجلو ـ أمريكي في أفغانستان والعراق وغيرهما والانضمام لفرق المقاومة في هذه البلدان ـ فقد فسرته البلدان الغربية على أنه نكران للجميل. فقد نشأ هؤلاء الشباب بها وعاشوا على أرضها، غير أنهم انضموا لفصائل المقاومة ضد الجيوش الغازية، وحين ألقي القبض عليهم أُودعوا في معسكرات الاعتقال ليدفعوا ثمن مناصرتهم لجحافل المقاومة في مواجهة الاستعمار الغربي.

إن الحاجة ماسة إلى شباب يعيش في المهجر دون أن يفقد صلته بالوطن الأم، ويتعلم اللغة العربية دون أن ينفصل عن تراث الآباء، ولا يهمل في الوقت نفسه عملية التكيف الاجتماعي والثقافي في البلد الذي اتجه ـ مع أسرته ـ إليه.

إن الأهمية التي تلعبها اللغة كذلك والدين إذا أُحسن توظيفهما تكمن في إمكانية حشد "لوبي عربي" في هذه البلدان يسهم في التأثير على صاحب القرار الغربي من جهة، ويشارك بفاعلية في مناقشة القضايا العربية في بلدان المهجر من جهة أخرى.

٥] العولمة واللغة العربية:

يُعدُّ التحدي الثقافي الذي تتضمنه العولمة على درجة هائلة من الأهمية، وهذا التحدي على ما يذكر المفكر المصري جابر عصفور دليل على أن الفكر العربي بصفة عامة يواجه أزمة كبيرة، ويستشعر خطراً يهدد هويته الثقافية في الألفية الثالثة.

والواقع، أن اللغة العربية تواجه هذا التحدي نفسه بالنسبة لأطفال وشباب المهجر؛ إذ إن نسيان اللغة العربية بما تتضمنه من معايير وقيم ومضامين ثقافية يهدد وجود هذه الشرائح التي يمكن أن يزداد إحساسها بالاغتراب والهامشية والضياع في بلدان المهجر.

ولا يعنى هذا إنكار أهمية التسامح، والتعددية وقبول الآخر باعتبارها أساس البنية الثقافية في عصر العولمة. كما أن الاهتمام بالمنهج العلمي وتفعيل الاتصال بين منطقة النزوح والبلدان العربية التي نزح منها هؤلاء المهاجرون هو السبيل الوحيد للمحافظة على تراثنا دون أن ننغلق عليه أو نهمل توافقنا الاجتماعي والثقافي مع المناطق التي هاجر إليها هؤلاء الشباب من جهة، ودون أن ينبهروا بثقافته ويذوبوا فيها من جهة أخرى، بل إن عليهم أن ينتقوا بعقلانية الأساليب المادية والمعنوية التي تناسبهم من ثقافة الغرب (مناطق الجذب)، بينما يحتفظون بأصالتهم وجذورهم الثقافية. ويزيد من حدة هذه القضية التصور الذي ساد في الغرب على ضوء ما صاغه صموئيل هنتنجتون S.Hintington؛ إذ استند هذا التصور على أن الصراع الرئيسي في عالم اليوم لن يستند على مبررات اقتصادية وأيديولوجية، بل على مبررات ثقافية.

وإذا كان التحديث والترحيب بثقافة الغرب وحدها لا يُعد حلاً للأزمة، فإن العودة للماضي والتمسك الآلي باللغة العربية لا يدعم الهوية والانتماء، أو يخلق "اللوبي" الواعي الذي يدافع عن المواطن العربي في أرض الغربة. إن الدين واللغة التي تضم التراث الثقافي هي السبيل الوحيد للحفاظ على خصوصية المهاجرين العرب في عصر العولمة في بلاد المهجر.

وإذا كانت قضية الأصالة والمعاصرة قد شغلت تفكير الثقات والناس عمومًا في عالمنا العربي، فإن هذه القضية نفسها تفرض نفسها على المهاجرين العرب في بلدان المهجر؛ إذ إن عليهم أن يتمسكوا باللغة العربية وبما يناسب العصر والألفية الثالثة ويحافظوا على عناصر التراث الثقافي الأساسية، دون أن يرفضوا تمامًا ثقافة البلدان التي اتجهوا إليها وتجنسوا بجنسيتها، بل يتكيفون ويتوافقون بعقلانية مع ما لا يتعارض مع ثقافتنا وديننا.

واللغة العربية إذًا هي مفتاح الأصالة التي ينبغي ألا نهملها بحال من الأحوال أو نهمل تعليمها لأولادنا في بلدان المهجر.

٥] مقترحات وتوصيات:

من المهم هنا أن ينتهي البحث بمجموعة من التوصيات..

١) أن تقوم الجامعة العربية ومنظماتها المتخصصة، كالمنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة، بالاتصال بالسفارات في البلدان التي بها مهاجرون للاتفاق مع هذه الدول على تفعيل تعليم اللغة العربية في المدارس والمعاهد والجامعات بالخارج.

٢) مراجعة مقررات اللغة العربية المعدة لطلاب بعض البلدان كفرنسا بواسطة الخبراء؛ لضمان جودتها وقدرتها على أداء الدور المنوط بها، مع الاستعانة بتكنولوجيا التعليم والأجهزة الحديثة لضمان أن تحقق هذه المقررات الدور المحدد لها.

٣) تأهيل المدرسين الذين يقومون بالتدريس للجاليات العربية في الخارج، والاستفادة من المبعوثين العرب بحيث يُمنحون حوافز مادية وشهادات تجسد التراث الثقافي وتزيد من تفعيل اللغة العربية في المناطق التي تغص بالمهاجرين.

٤) توجيه برامج إذاعية وتليفزيونية لتعليم اللغة العربية لتفعيل الحوار مع أولادنا في المهجر؛ لتعليمهم أصول اللغة ومناقشة القضايا الثقافية والتراثية بصفة مستمرة.

٥) استقبال الأطفال المهاجرين المتقدمين في تعلم اللغة العربية في بلدانهم بصفة دورية لدعم تلاحمهم مع أوطانهم التي هاجر منها الآباء.

٦) أن تتولى السفارات التنسيق مع الأقطار العربية للتزود بالخبراء في المجالات المختلفة: الدينية والاجتماعية، دعمًا للتواصل بين الأجيال المهاجرة وروافد الثقافة "الأم" في الوطن العربي.

٧) إنشاء مراكز عربية للاستشارات الأسرية والثقافية لدعم الأسرة العربية وضمان تماسكها في بلدان المهجر ؛ إذ إن الأسرة العربية المتماسكة هي بيت القصيد .

٨) أن تُزوَّد مكتبات سفاراتنا بالخارج بكتيبات توضح دورنا " كسفراء في الخارج " مع مساعدة المهاجرين للتغلب على التحديات القائمة ولفهم ماهية العولمة ، مع تبصيرهم بالجوانب الإيجابية في ثقافة المهجر وأساليب التكيف الاجتماعي والثقافي في مناطق الجذب ؛ حتى لا يتقوقعوا أو يذوبوا تمامًا في بلدان المهجر .

٩) إصدار كتيبات باللغة العربية تضم آراء الخبراء في القضايا الهامة التي تشغل بال المهاجرين .

١٠) إرسال الخبراء والدعاة في المجالات المختلفة للالتقاء بالفتيان والشباب العرب ؛ للإجابة عن تساؤلاتهم في شتى المجالات .

المصـــادر:

(١) حليم بركات ـ المجتمع العربي المعاصر ـ مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت ـ ١٩٩٨ .

(٢) مصطفى ناصف ـ اللغة والتفسير والتواصل ، عالم المعرفة ، ع ١٩٣ ـ الكويت ـ ١٩٩٥ .

Httn/ www-an- nour-com/204 Science/ Science- 61- htm.

(٣) سمير أبو زينب **http. www. Arabenwal. Com/ Index – php md = AL & A/0=9300** .

(٤) تقرير عن مؤتمر اللغة العربية أمام تحديات العولمة **File / F: Newpage/htm** .

(٥) لسيد نجم ـ ملامح الهوية الثقافية العربية **File // F/htm** .

(٦) جاسم محمد ـ اللغة وسوء التفاهم **File / F/hrm** .

(٧) الزين عباس عمارة ـ اللغة جسر التواصل النفسي **http// www. Elazyem. Com/newpage28.** .

(٨) صاحب الربيعي الحوار المتمدين العدد١٥٠١ .

(٩) أحمد الدهان ـ اللغة العربية الصله الحية بين حاضر الأمة وتراثها الزاخر .

Httn // www. Awn-damorg turath – 102 – 007 htm.
Httn // annals univ. mosta-dz / texte an 6/06 / Kerma htm.